

# ابن حمديس الصقلي

## دراسة موضوعية فنية

بحث مقدم من المدرس المساعد  
زياد طارق لفته العبيدي

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

2006م

1427هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
المقدمة

لا شك ان القارئ للادب الأندلسي يجده ادبا عريقا بإيحاءاته وصوره التي رسمها على الخصوص شعراؤه الافذاذ ، الذين سجلوا لنا تاريخ حقبة طويلة عاشتها الاندلس الاسلامية بافراحها واحزانها. ومن بين هؤلاء الشعراء ابن حمديس الصقلي ، الذي عرف بدوره ومكانته في الحداثة والتجديد في الشعر الأندلسي ، فضلا عن براعته في تصوير اغترابه وشكواه من الزمن الذي جعل بلاده تقع تحت يد النورمانديين الذين ساموا اهل صقلية الذل والهوان وفر منها ابن حمديس وكابد كثيرا ، وقد استطاع ان يصور كل ذلك بأسلوب يقطر حزنا وأسى ، ثم ظهر مبدعا ومجددا في وصف الطبيعة . وجاء هذا البحث ليظهر لنا براعة الشاعر في الوصف والتصوير الفني الدقيق ، فضلا عن قدرته الفائقة في التجديد ، وقد قسمته على الشكل الآتي :-

- التمهيد : الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر.
- المبحث الاول : البيئة والشاعر.
- المبحث الثاني : اغراض شعره.
- المبحث الثالث : خصائص شعره.
- الخاتمة : وتتضمن النتائج المهمة التي توصلت اليها في بحثي.
- المصادر والمراجع.

ومن الله التوفيق.

#### التمهيد

الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر :-

لم يكن فتح العرب المسلمين للاندلس مجرد رغبة طارئة اوجدها فتح شمال افريقية. وانما كان نتيجة اسباب متعددة ومتنوعة في آثارها وأهميتها تعاونت لتجعل العرب يعبرون بحر الظلمات كما كانوا يسمونه نذكر من تلك الاسباب وفي مقدمتها :

1. حب العرب المسلمين ((لنشر كلمة الله والقضاء على المظالم التي ترزح تحتها الامم التي قضى عليها جور الحكام وعسفهم))<sup>1</sup>.

2. في الوقت الذي اخذت اسبانيا تجذب انظار العرب المسلمين الا انها كانت ايضا تمر بأسوأ الاحوال السياسية والاجتماعية وهذا ما ساعدهم على فتحها فقد ((كتب يليان الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب يزيّن له فتح الاندلس ويصف خصيب اراضيها ووفرة اموالها وسهولة التغلب عليها لتخاذل اهلها وانقسام بعضهم عن بعض ووعدته بالمساعدة فاستأذن موسى بن نصير الخليفة بغزو الاندلس فأذن له))<sup>2</sup>.

3. ان انتصارات المسلمين في فتوحات شمال افريقية الواحدة تلو الاخرى جعلتهم يدركون أن هذه البلدان ستكون حصنا للمسلمين تحمي ظهورهم. فاخذت فكرة عبور بحر الظلمات تراود عقبة بن نافع الفهري الذي اختط مدينة القيروان سنة 50هـ اذ كان عامل معاوية في المغرب وهو الذي قال : يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك. ونضجت هذه الفكرة بعد نجاح الاسلام في استمالة قلوب البربر واستتب الامر للمسلمين<sup>3</sup>. على كل حال عبر العرب بحر الظلمات من مضيق جبل طارق عام 92هـ الى جزيرة الفندال التي كانت العرب تسميها الجزيرة الخضراء<sup>4</sup>. ولم يكن الجيش الفاتح من العرب فقط وانما كانوا من العرب والبربر ((فاما العرب فكانوا يفضلون دائما البسط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة واما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية فألفوا مثل هذه البلاد في الاندلس فاستقروا فيها باختيارهم))<sup>5</sup>.

وتم التمازج عن طريق التزاوج بالاضافة الى عوامل دينية وثقافية. وصقلية مسقط رأس الشاعر وملاعب صباه، بدأ المسلمون بفتحها سنة 211هـ على يد أسد بن فرات أيام زيادة الله بن الاغلب والي افريقية واستمرت اعمال الفتح مدة غير قصيرة ولم تخضع كل صقلية خضوعا تاما لحاكم عربي واحد الا ايام بني ابي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة... ثم هبت ريح الفتنة على صقلية وتجدد فيها صراع الجنسيات المختلفة من افريقية وصقلية ايام الاكحل من بني ابي الحسين واخيه حسن الصمصام... وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الحواس من حروب ولم يجد النورمانيون فتح الجزيرة سهلا ولم يتم لهم الامر عليها عام 484هـ<sup>6</sup>.

وفي ((سنة 471هـ (1078-1079م)) كان النورمانيون قد استولوا على معظم جزيرة صقلية))<sup>7</sup>. وخلال ابتداء الفتح النورماني وانتهائه كان الصقليون يهجرون بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة (مسقط رأس الشاعر) من المدن التي قاومت طويلا وافتخر بها الشاعر بعد ان هاجر منها وتشفع لاهلها كثيرا كما سنرى في الفصول القادمة وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الاداب والعلوم... وكان ديوان ابن حمديس من جملة ما وصل الينا<sup>8</sup>. وصارت لفظة (اندلس) في الادب تشير الى نتاج اجيال ولدت في الاندلس ومن هاجر اليها. وقد اوضح مدلول هذه اللفظة بهذا المعنى ابن حزم الاندلسي بقوله : ((ان جميع المؤرخين من انمتنا السالفين

1. الادب العربي وتاريخه . محمود مصطفى 5/3.

2. في الادب الاندلسي . د. جودة الركابي ص11 .

3. ينظر الادب العربي وتاريخه 6-5/3 .

4. ينظر في الادب الاندلسي ص11.

5. فجر الاندلس . د.حسين مؤنس . ص54.

6. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس بقلم الدكتور احسان عباس ص1-2.

7. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . 201/5

1. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس . ص20 .

والباقين دون محاشاة احد - بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقين على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكانها الى ان مات فمن هاجر اليها من سائر البلدان فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر الذين اجماعهم فرض اتباعه. وخلافة محرم اقترافه... ومن هاجر الى غيرنا فلاحظ لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به<sup>1</sup>.

ومن هنا نفهم اهتمام الدارسين باندلسية ابن حمديس في شعره رغم اشتهاه صقليته فهو شاعر اندلسي من حيث الخصائص وولعه بالطبيعة ووصفه لمجالس الانس فيها.

وقد فضل الدكتور مصطفى الشكعة القول في تركيبة المجتمع الاندلسي الذي ضم أجناسا من البشر ذوي عقائد عديدة وعادات مختلفة من عرب وبربر وصقالبة ويهود واسبان والعرب منهم النزاريون والقحطانيون. وأشار الى ان هذه المدة لم تكن مدة استقرار ورغد نتيجة الحروب والمشاحنات<sup>2</sup>.

ولكن العرب المسلمين استطاعوا تكوين دولة قوية بلغت اوجها زمن عبد الرحمن الناصر والذي كان اول من طمح بالخلافة من امراء فلقب بامير المؤمنين وازدهرت في ايامه الاندلس ايما ازدهار<sup>3</sup> وتطرق الدكتور احسان عباس الى العوامل التي ساعدت على تكوين الشعر الاندلسي نوجزها بجهود طبقة المؤدبين وأثرها في نشأة الشعر والمقاييس النقدية ، وجهود المهاجرين في طلاب الحاجات وتشجيع الحكام وادخالهم ضروبا من الثقافة المشرقية وحركة الغناء في الاندلس واعتمادها على التلاحين الشرقية، وتقريب الحكام لاصحاب الثقافات والفنون المقيمين والوافدين وهجرة الكثير من الكتب المشرقية الى الاندلس ايام الحكم الذي وجه الى المشرق عباس بن ناصح الجزري في التماس الكتب القديمة بالاضافة الى كون الحكام والامراء انفسهم شعراء ومنهم المقل ومنهم المكثرون حتى صار الشعر من العناصر التي تقدم المرء في الحياة السياسية وترقى به الى المناصب الرفيعة<sup>4</sup>.

لقد كان هم الشعر في الاندلس ان يحاكي ويقلد شعر المشاركة لانهم اعتقدوا ان الشعر في المشرق قد بلغ درجة الكمال والمعجزة التي لا يمكن الإتيان بمثلها. فلذا قال ابن بسام في مقدمة الذخيرة ((الا ان اهل الاندلس ابوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعى بتلك الافاق غراب وطن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا ضما وتلوا ذلك كتابا محكما<sup>5</sup>)).

ومن اللافت للنظر في تاريخ المسلمين هي الأحداث الخطيرة التي حدثت اوائل القرن الخامس الهجري والتي كان من نتائجها خلال الخلافة في قرطبة وابتداء عهد ملوك الطوائف ، ويستغرب الدكتور صلاح خالص من الانهيار السريع لتلك الدولة القوية التي بناها عبد الرحمن الناصر واسندتها الى جب المنصور وابنه الحاجب المظفر ولما يمض على وفاة الاخير غير عامين ويستنتج الدكتور صلاح ان هذا الانهيار لا يعود لاسباب خارجية لان الدولة الاسلامية لم تقع فريسة عدوها الخارجي وانما تكمن وراء ذلك اسباب داخلية وليدة اعوام كثيرة عبر مساحة زمنية واسعة فظهرت دول الطوائف ومنها اتفق وجهاء اشبيلية على استقلال مدينتهم فسدوا ابوابها اما المتنافسين على عرش الخلافة في قرطبة وابتداء تمرد اشبيلية عام 414هـ حين رفض الاشبيليون فتح ابواب مدينتهم امام القاسم بن حمود الذي اضطر الى ترك قرطبة.

وكانت الارستقراطية الاندلسية في القرن الخامس مثقفة تعنى بالعلوم والادب وكان بنو عباد من بين جميع الاسر الارستقراطية اوسعهم ثقافة واكثرهم ميلا للادب وعناية بالعلم ورعاية للاداب واهلها، فمعظم ملوك بني عباد وامرائهم كانوا من الشعراء والادباء. فالمعتمد دون شك شاعر من ابرز شعراء الاندلس في ذلك القرن<sup>6</sup>

وكان ابن حمديس يحلم بلقاء المعتمد صاحب اشبيلية وتحقق له ذلك ، وظل زمنا يتقلب في نعماء القصر ورعاية المعتمد ، وكان المعتمد من الاسباب المهمة في شهرة ابن حمديس شاعرا اندلسيا.

2. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . المقرئ . 164/3.

3. ينظر الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه ص21.

4. امراء الشعر العربي في العصر العباسي . انيس المقدسي ، ص9.

5. ينظر تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص48 ، 53 ، 57 ، 62 ، 90 .

6. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام ، ق1 م12.

1. ينظر محمد بن عمار الاندلسي ، ص8-9 ، 14-16 .

فلذا ظل وفيًا له حتى أنه زاره في سجنه وفي رواية أخرى أقام معه كما ستكشف المباحث الآتية... وصار ابن حمديس ضمن طائفة الشعراء الذين يمثلون البيئة والمجتمع وتجمع لهم الحداثة والجدة.

### المبحث الأول

#### البيئة والشاعر

لا يختلف اثنان على أن البيئة الاجتماعية والسياسية والجغرافية والاقتصادية تؤثر تأثيراً كبيراً في نفسية الشاعر واكتشافه وصقل مواهبه وتطويرها أو تعويضها لذلك شاع القول : ((الشاعر ابن البيئة)) لذا أصبح من الضروري الاطلاع على العوامل الرئيسة التي أثرت في الشاعر : ((ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور. وحمديس بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة. وصقلية بفتح الصاد المهملة والقاف بعدها جزيرة في بحر المغرب بالقرب من افريقية انتزعها الفرنج من المسلمين في سنة اربع وستين واربعمائة))<sup>1</sup> بعد أن حكم العرب هذه الجزيرة بين عامي (219 – 464)<sup>2</sup> وإلى هذه الجزيرة ينتسب الشاعر ويسمى ((بالصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وبعدها لام مشددة))<sup>3</sup>.

وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين (أو النورمانديين) كما يذكر الدكتور جودة من إيطاليا ليسلمهم الجزيرة على أثر ما قام بينه وبين ابن الجواس من حروب وصقلية كلها لم تخضع لحاكم عربي واحد إلا في أيام بني ابي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة. ومنذ أن ابتدأ الفتح النورماني إلى أن انتهى كان الصقليون يهاجرون من بلدهم إلى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة البلد الذي ولد فيه الشاعر قد قاومت طويلاً ... وقد فارقها الشاعر في ريعان شبابه<sup>4</sup> وربما كان ذلك سنة ((أحدى وسبعين واربعمائة وهو في سن الحداثة))<sup>5</sup> كما ذكر الدكتور احسان عباس عباس هذا التاريخ قبل قصيدة للشاعر استخرجها من كتابي ((الخريدة)) و ((الطراز)).

((وقد اخترنت ذاكرته ضروباً من الذكريات التي ظلت زادا لنفسه الحاملة بالعودة))<sup>6</sup> فهو يقول:

أحن إلى أرضي التي في ترابها      أحسن من أهلي تلين وأعظم  
كما حن قيد الدجى بمضله      إلى وطن عود من الشوق يروم<sup>7</sup>

ويقول أيضاً :

صقلية كاد الزمان بلادها      وكانت على أهل الزمان محاربا  
ومنزله للتصابي قد خلت      وكانوا بنوا الظرف عمارها<sup>8</sup>  
(أشار الدكتور احسان عباس أنه رأى البيت الأخير في الوافي (للصبا قد خلت))  
وكذلك يقول :

ولولا ملوحة ماء البكاء      حسنت دموعي أنهارها  
ضحكت ابن عشرين من صبوة      بكت ابن ستين أوزارها<sup>9</sup>

وسأتحدث عن هذا الحنين والشوق إلى العودة وعن ذكرياته عن بلده وأهله على نحو مفصل في أغراض شعره ((وقد امتازت صقلية بطبيعتها الفنية ووديانها الخصبة وأنهارها الجارية وأثارت في نفوس سكانها منذ القدم التغني بحياتها الريفية))<sup>10</sup> ((وقد شهدت صقلية أيام الحكم العربي والنورماني

2. وفيات الاعيان – ابن خلكان ، 421/3 ، 414 .

3. ينظر في الأدب الأندلسي ، ص100.

4. وفيات الاعيان ، 214/3 .

5. ديوان ابن حمديس ، ص 1 ، 5 .

6. المصدر نفسه ، ص167 .

7. المصدر نفسه ، ص5 .

8. المصدر نفسه ، ص416 .

9. المصدر نفسه ، ص275 .

10. المصدر نفسه ، ص183 .

1. في الأدب الأندلسي ، ص100 .

نشاطا واسعا في الأدب والعلوم واجتذبت اليها مهاجرين من علماء أفريقيا ومصر والاندلس وشعرائها<sup>1</sup>.

و((نحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلمية والادبية لسرقوسة ولكننا نتصور ان عبد الجبار وجد فيها من غير ريب ثقافته الادبية الاولى التي مكنته من قول الشعر في صباه))<sup>2</sup>.  
(( فقد عالج ابن حمديس نظم الشعر وهو صغير ولكنه بقي خامل الذكر))<sup>3</sup> وقد نشأ ابن حمديس في عائلة و((عاش والده ابو بكر الى ما قبل 480 للهجرة على وجه التقدير وربما توفي في سرقوسة وكان فيما يبدو رجلا تقيا محبا للخير ((ومضى حين مضى سالكا سبل ابائه))<sup>4</sup> ان لعائلته تاريخا في البر والخير فضلا عن امتيازها بالروح الدينية وهذا ما يؤكد الشاعر في قصيدة يرثي فيها اياه حين ورد عليه كتاب والده في صقلية يحثه على البر ويتشوقه وهي قصيدة طويلة تشغل ثلاث صفحات من ديوانه يفتتحها بـ:

|                            |                                    |
|----------------------------|------------------------------------|
| يد الدهر جارحه آسيه        | ودنياك مفنية فانيه                 |
| سقى الله فبرابي رحمه       | فسقياه رائحة غاديه                 |
| ومن كرم في العلى اول       | وشمس النهار له ثانيه               |
| ولو ان اخلاقه للزمنان      | لكانت موارده صافيه                 |
| تمثلت في خلدي شخصه         | وقربت تربته القاصيه                |
| قديم تراث العلى أسد        | على النجم خطته ساميه               |
| ومنها مضى بالرجاحة من حلمه | فما سر الهضبة الراسيه              |
| مضى سالكا سبل آبائه        | واجداده الغر الماضيه               |
| كرام تولوا بريب المنون     | وانقوا مفاخرهم باقيته <sup>5</sup> |

واذا عرفنا ان عمه الشاعر اجرت مع ابنائها الى سفاقس وكان ابنها الحسن متطببا مثقفا اذ يقول فيه ابن حمديس ((بقراط دونه معرفة طيبة وفكره حسيه)) وقد تزوج اخت الشاعر ونشأت علاقة حميمة بينهما<sup>6</sup> لفسرنا ظهور الشعر الذي يتناول الصحة والهواء والمرض وطبائع الاشياء متأثرا بتلك الثقافة والعلاقة قال ابن حمديس في المتطبيب الحسن

|                           |                                      |
|---------------------------|--------------------------------------|
| وكان في درس العلوم وحفظها | بين الافاضل مبدأ الاعداد             |
| ملاحمته عناصر المجد التي  | طابت من الالباء والاجداد             |
| ونجابه وقف عليهم فضلها    | منقولة منهم الى الاولاد <sup>7</sup> |

وهي قصيدة طويلة تجعل القارئ للديوان من خلالها وخلال قصيدة رثاء ابيه ان يؤيد ما ذهب اليه الدكتور احسان عباس في قوله ((فهو من عائلة محافظة فيها وتر قوي من التدين ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكمة ... وان روح المحافظة غلب عليه كما غلب عليه من الثقافة الحكيمة الطبية جعلته يتحدث عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء ...))<sup>8</sup>

((لقد فرّ ابن حمديس الى الاندلس ونزل باشبيلية وظل فترة يحلم بلقاء المعتمد بن عباد))<sup>9</sup> ومعظم المصادر تهتم بوصوله الاندلس لان الاهتمام باندلسية ابن حمديس كان شغلهم الشاغل. يقول الدكتور جودة الركابي ((وبعد ان حلت النكبة بوطنه رحل الى الاندلس سنة 471هـ ولاذ بكنف المعتمد بن عباد باشبيلية واصبح شاعره))<sup>10</sup>

2. ديوان ابن حمديس ، ص2.

3. المصدر نفسه ، ص3.

4. في الادب الاندلسي ، ص100.

5. ديوان ابن حمديس ، ص3.

6. المصدر نفسه ص522 - 524.

7. المصدر نفسه ، ص3.

8. المصدر نفسه ، ص122.

9. المصدر نفسه ، ص3.

10. دائرة المعرفة الاسلامية : نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وجماعة ، 145/1.

1. في الادب الاندلسي ، ص100.

الا ان الدكتور احسان عباس فصل القول في رحلة ابن حمديس فذكر مرحلة وجوده في افريقية يصحب العرب وينتقل في الصحراء وكانت افريقية طريقا الى الاندلس. وقد فضل ابن حمديس السفر البري على البحري الذي اصبح محفوفا بالخطر بعد ان استولت الاساطيل الرومية على السيادة البحرية غرب البحر المتوسط<sup>1</sup> وقد قال الشاعر قصائد تؤرخ ذلك وتكشف عن اعتزازه بالغرب وتعبر عن غربته غربته في تلك البلاد ، ومنها قوله

إني لأبسط للقبول اذا سرت  
مالي اطليل عن الديار تغربا  
ابدأ ابدد بالنوى غرمي الى  
كم من فلاة جبتها بنجيبيه  
خدي والقاها بتقبيل اليد  
افبالغرب كان طالع مولدي  
أمل بأطراف البلاد مبدد  
عن منسم دام وخطم مزيد<sup>2</sup>

اصبح المنسم داميا لكثرة المشي وكذلك اشتد بياض اللعاب الخارج من فمها نتيجة التعب. بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الاموية في الاندلس وبدأ رؤساء الطوائف يستقلون بالامارات التي يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف واصبحت المدن المهمة في الاندلس عواصم لهذه الدويلات ومن اهم هذه الدويلات التي لها صلة بالبحث والشاعر الدولة العبادية في اشبيلية 414-484<sup>3</sup>. ((ولم يكن التنافس بين هؤلاء الملوك سياسيا فقط بل كان عمرانيا وادبيا ، فقد رعوا حركة الادب وقربوا اصحابها وكانت اكثر عواصمهم أسواقا لها. وكان منهم ادباء وشعراء كالمظفر وابنه المتوكل والمعتمد بن عباد ملك اشبيلية))<sup>4</sup>

وقد وردت روايتان في اتصال الشاعر بالمعتمد الاولى تقول ان المعتمد لم يعبا به حتى قال ابن حمديس ((قنطت لخيبتني مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي ، فاني لذلك ليلة من الليالي في منزلي اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي : اجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فاجلسني على مرتبه فنك وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحها تارة ويسدها اخرى. ثم دام سد احدهما وفتح الاخر فحين تأملتها قال لي اجز (الاجازة في الشعر ان يقول واحد صدر بيت ويطلب من الاخر اكماله على نفس الوزن مع استقامة المعنى)

قال : انظرهما في الظلام قد نحما  
قال : يفتح عينيه ثم يطبقها  
قال : فابتززه الدهر نور واحدة  
فقلت ((كما رنا في الدجنة الاسد))  
فقلت ((فعل امرئ في جفونه رمد))  
فقلت ((وهل نجا من صروفه احد))

فاستحسن ذلك وامر لي بجائزة سنه والزمني خدمته<sup>5</sup> ((والرواية الثانية تفيد ان المعتمد توجه إلى قرطبة وكتب الى الشاعر يأمره بالقدوم اليه فسافر ابن حمديس الى قرطبة ووافق ذلك مجيء ابي بكر بن عمار اسيرا مقيدا فلم يطق ابن حمديس البقاء في قرطبة وعاد من توه الى اشبيلية. والشك ما زال يخالج نفسه حول رغبة المعتمد في اقامته فكتب اليه قصيدة يقول فيها : ((فوق ممسكا او مسرحا)) فوق له المعتمد : بل تمسك بمعروف ووصله بمانة دينار))<sup>6</sup>. وقد استخرج احسان عباس هذه الرواية من كتاب الذخيرة حين خرج قصيدة للشاعر تبدأ : ايا مولى الصنع الجميل اذ انشى  
ويا مسدي النيل الجميل اذا صحا  
يقول :

رفعت واصحابي الى ما يحده  
علاك فوق ممسكا او مسرحا<sup>7</sup>  
((ان المعتمد يشكل صفحات من المجد والترف والبطولة والاباء والشعر ولقد ورثت ابنته بثينة روحه

2. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص5.

3. المصدر نفسه ، ص10. فلاه : المفازة : الصحراء ، نجيبه : الفاضلة من الابل وهي عناقها التي يساق عليها ، منسم : طرف خف البعير خطم : مقدم انفها وفمها ، مزبد : يخرج من فمها الزبد. ينظر (المنجد في اللغة مادة فلو ، نجب ، نس ، خطم ، زبد)

4. ينظر في الادب الاندلسي ، ص15

5. المصدر نفسه ، ص26.

6. ديوان ابن حمديس ص 543 وينظر تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ص235.

7. المصدر نفسه ، ص6.

1. المصدر نفسه ، ص110 - 111.

الشاعر فهو شاعر الملوك وملك الشعراء وورثت الشعر ايضا والجمال من امها الرميكية<sup>1</sup> وظل الشاعر يتقلب في نعم الملك حقه من الدهر ولما ((استولى ابن تاشفين على اشبيلية ونفي ابن عباد الى قلعة اجمات بمراكش لحق ابن حمديس سيده الى منفاه وبقي وفيها له ينظم الشعر الحزين))<sup>2</sup> بينما تذكر دائرة المعارف الاسلامية ((ولما سجن المعتمد يتبعه الى سجنه عام 484 (1091م))<sup>3</sup> ويرى الدكتور احمد امين ((انه كان مع ابن عباد في سجنه))<sup>4</sup> واقامته في الاندلس لها الاثر الكبير في شعره لما امتازت به الاندلس من جمال الطبيعة بل كان للرجل الاندلسي صفات اشار اليها الكثير من المؤلفين العرب فابن غالب في رسالته فرح الانفس التي يذكرها المقرئ يصف لنا الاندلسي رجلا مهتما بلباسه وهندامه وطعامه محبا للشعر والغناء والموسيقى ، ونجده الى جانب هذه الحياة اللاهية حسن التدبير محبا للعلوم والفلسفة والعدالة. ان الذي لا شك فيه ان الاندلس قد تتمتع بصفات تتخذ من باخوس Bacchus آله الخمر واللهو كما تتخذ من ابولون Apollon آله الفن والشعر ولهذا فليس عجيبا ان نراه محبا للفن شاعرا ولاهيا عابثا ثم بعد هذا منصرفا الى التفقه في العلوم والتشريع والدين والفلسفة بتأثير الدافع الاسلامي وحب التأمل وفهم اسرار الحياة.

وقد عد ابن غالب من فضائل الاندلسيين اختراعهم للموشحات التي استحسناها اهل المشرق<sup>5</sup> . ولا ولا شك ان كل العوامل التي ذكرت قد اثرت في شعر ابن حمديس وهو ما يتوضح لدى دراسة شعره. ((وبعد موت الملك العبادي انتقل ابن حمديس الى المهديّة قاعدة افريقية ثم انتقل الى جزيرة ميورقة حيث مات عام 1132م / 527هـ))<sup>6</sup> ويذكر ابن خلكان وفاة الشاعر ومكان دفنه بعد ان يشير الى عماء اذ بلغ الثمانين من العمر وبيده عصاه. فيقول ((توفي في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسماية بجزيرة ميورقة ودفن الى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور وكان قد عمي وقيل ببجاية))<sup>7</sup>.

وفي ديوانه اشار الى عمره وعماء اذ يقول :  
 كأنها وهي كفي اهش بها على الثمانين عاما لا على غنمي<sup>8</sup>  
 ان التنقل المستمر ومعايشة النكبات التي حلت بوطنه جعلت الشاعر يقول كثيرا من الشعر الذي يصف فيه غربته وحنينه الى بلده ويغلب عليه طابع الحزن والتشاؤم.  
 وقد ترك ابن حمديس ديوان شعر ((صبغه لنفسه كما يذكر ابن ظافر الازدي وكان موجودا في ايدي الناس ويبدو انه عند جمع ديوانه ذكر مناسبات القصائد بدقة وأملاه على احد الرواة))<sup>9</sup>.  
 ((وقد قام ((اقاري)) بنشر ديوان شعره الذي يمثل حياته في صقلية وحينما كان في بلاط ابن عباد في اشبيلية))<sup>10</sup>.

وقد ((طبعه بالرم سنة 1883م وفي روما سنة 1897م وفي بيروت سنة 1960م))<sup>11</sup>

## المبحث الثاني اغراض شعره

2. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص17.
3. في الادب الاندلسي ، ص100.
4. دائرة المعارف الاسلامية ، 145/1.
5. ظهر الاسلام د. احمد امين ، 183/3.
6. ينظر في الادب الاندلسي ، ص44.
7. تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري ، ص841.
8. وفيات الاعيان ، 215/3.
9. ديوان ابن حمديس ، ص482.
10. المصدر نفسه ، ص22.
11. ظهر الاسلام ، ص183.
12. في الادب الاندلسي ، ص100.



يقصد بالغرض الموضوع الذي يتناوله الشاعر وإذا عرفنا ((ان الادب الناجح هو الذي يكون صدى للبيئة وتصويرا لجوانبها العديدة من ثقافية واجتماعية وجغرافية وسلوكية))<sup>1</sup> وبالتالي سيصبح معبرا عن تجارب الشاعر ومعاناته واحلامه وطموحه التي تتأثر حتما بعوامل البيئة المتنوعة ومن اكبر الموضوعات الشعرية التي عالجه ابن حمديس وجدير بالابتداء به قبل غيره هو :-

1. قوة الحنين والتفجع على ضياع الوطن : لقد انشغل ابن حمديس بوطنه ارضا واهلا ورمزا ، يذكره بوطنه المنكوب فحين رأى زهرة النيلوفر المشهورة في صقلية هتف قائلا :  
هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه      كلانا عن الاوطان ازعجه الدهر<sup>2</sup> ،

فهو لم يغادر البلاد راغبا في الاغتراب وانما ازعجه الدهر حين استطاع النورمانديون احتلال بلاده وساموا اهلها الهوان ((وقد تميز ابن حمديس على شعراء صقلية والقيروان والاندرلس الذين عالجوا هذا الموضوع لان احساسه بالوطن قوي الجذور راسخ لا يموت فقد ظل غريبا حيث حل لتجسم الوطن خلال مشاعره ، ولم يقتنع بما دعى اليه شاعر صقلي آخر هو (هو ابو العرب الصقلي) الذي برر غربته حين قال :

ان كان اصلي من تراب فكلها      بلادي وكل العالمين اقاربي<sup>3</sup>  
وربما كان هذا السبب الذي جعل ابن حمديس يفتخر ببلده ولم يفتخر بقبيلته الازدية ففي قصيدة بلغت 48 بيتا يقول :

نحن بنو النحر الذين ثغورهم      اذا عبست حرب لهم تتبسم  
ومن حلب الاوداج يغذى فطيما      بحجر من الهيجاء ساعة يفطم<sup>4</sup>  
(وهنا يقصد ان النوق التي تغذي الفطيم تمتاز بحسن الحال والسمنة)  
وذكر صقلية وحده يثير في نفسه الأسى ويهيج لنفسه تذكرها فصقلية موطن الصبا اذ كان في العشرين  
ولم يتخلف عن مدح اهلها وصقلية جنة واليوم قد بلغ الستين وهو غريب يدفع اوزار الرحيل عنها بهذا  
الألم والاحساس القاتل بالغربة يقول :

ذكرت صقلية والاســـــى      يهيج للنفس تذكـارها  
ومنزلة للتصابي خلـــــت      وكان بنو الظرف عمارها  
فان كنت اخرجت من جنـــــة      حسبت دموعي انها رها  
ضحكت ابن عشرين من صبوـــــة      بكيت ابن ستين اوزارها<sup>5</sup>

وفي قصيدة يصف الشيب ويعبر عن تشوقه الى صقلية فهو يفتتحها بقوله :  
نفى هم شيبى سرور الشباب      لقد اظلم الشيب لما اضاء  
ثم يذكر صقلية :

ولا تعجبي فمغاني الهـــــواء      يطيب طيب ثراها الهـــــواء  
ولي بينها مهجة صبـــــه      تزودت في الجسم منها ذماء  
ديار تقشت اليها الخطـــــوب      كما تنمشى الذئاب الضـــــراء  
صبحت بها في الغياض الاسود      وزرت بها في الكناس الطباء<sup>6</sup>

ثم يتحول الى محاورة البحر والتفاخر عليه :  
وراءك يا بحر لي جنة      لبست النعيم بها الاشقاء

1. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص10.

2. ديوان ابن حمديس ، ص185.

3. المصدر نفسه ، ص17 - 18.

4. المصدر نفسه ، ص413.

5. المصدر نفسه ، ص183.

6. المصدر نفسه ، ص3. الطيب : العطر ، والثرى : الارض. ذماء : بقية الروح ، الخطوب . المصائب ، الغياض : الاجمة او مكان اقامة الاسود ، والكناس : بيت الضبي الذي يستتر فيه النظر. ينظر (المنجد في اللغة مادة ذما ، خطب ، غيض ، كنس)

وبلغ به الشوق حدا حتى انه اصبح مستعد ان يركب هلالا او زورقا يشبه الهلال ليعانق صقلية وذكاء:  
 فلو انني كنت أعطى المنى      اذا منع البحر منها اللقاء  
 ركبت الهلال به زورقا      الى أن أعانق فيها ذكاء<sup>1</sup>  
 ويتساءل لماذا كتب عليه التعرب اهو طالعة النخس أنه يتنقل من مكان لآخر ولكنه يبقى غريبا  
 فاحساسه بالغربة قاس وثابت:  
 مالي اظيل عن الديار تغربا      افبا لتغرب كان طالع مولدي  
 أبدا أبدد بالنوى عزمي الى      أمل بأطراف البلاد مبدد  
 كم من فلاة جبتها بنجييه      عن منسم دام وخطم مزبد<sup>2</sup>

انه يبكي دوما صقلية التي كاد الزمان بها وينفجر ألما حين يرى الروم يسومون اهل بلده ذله بعد ان  
 كانت حارسة للناس ذات عزة:  
 صقلية كاد الزمان بلادها      وكانت على اهل الزمان محارسا  
 اري بلدي قد سامه الروم ذلة      وكان بقومي عزه متقاعسا  
 ويذكر مسقط رأسه سرقوسة:  
 واضحت لهم سرقوسة دار منعة      يزورون بالديرين فيها النواوسا<sup>3</sup>

وتشفع لاهله كلما احتاجوا الى ذلك فروابطه قوية باهله فحين مدح الحسن بن علي والي سفاقس قال:  
 وما سفاقس الا بلدة بعثت      اليك عنها لسان الصدق تعتذر  
 واهلها اهل طوع لاذنوب لهم      اني لأقسم ما خانوا وما غدروا  
 وانما دافعوا عن حتف انفسهم      اذ خدمتهم به الهندية البتر<sup>4</sup>  
 أي اذا قطعتم السيوف الهندية (السيوف البتر) التي تكون شديدة القطع.  
 وحين مدح الامير ابا الحسن علي بن يحيى ذكر ردة اهل سفاقس الى اوطانهم ورجوع الآباء منهم الى  
 ابناء :  
 اخذت سفاقس منك عهد امان      وردت أهليها الى الاوطان<sup>5</sup>

كما كان يخاطب اهل صقلية ويدعوهم الى الجهاد المتمثل بالدفاع عن صقلية :  
 بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي      إذا لم أصل بالعرب منكم على العجم  
 دعوا النوم اني خائف ان تدوسكم      دواه وانتم في الاماني مع الحلم  
 فردوا وجوه الخيل نحو كريهة      مصرحة في الروم بالثكل واليهم<sup>6</sup>  
 هكذا كان الوطن يعيش معه اينما حل او ارتحل ، فقد تفوق في هذا المجال على شعراء صقلية  
 والقيروان والاندلس ، وابن حمديس ظل قوي الجذور والحنين الى وطنه .

2. المدح : هو ذكر محاسن الممدوح ومناقبه والهجاء هو ذكر مساوئ المهجو للنيل منه. وقد قالوا ان  
 ابن حمديس لا يحسن الهجاء فأجابهم:  
 يقولون لي لا تجيد الهجاء      فقلت ومالي اجيد المديح؟  
 فقالوا لأنك ترجو الثواب      وهذا القياس لعمرى صحيح  
 عفاف اللسان مقال الجميل      وفسق اللسان مقال القبيح  
 ومالي وما لامرئ مسلم      يروح بسيف لساني جريح<sup>1</sup>

1. ديوان ابن حمديس ، ص4. ذكاء : اسم علم للشمس (المنجد في اللغة مادة ذكاء)

2. المصدر نفسه ، ص168.

3. المصدر نفسه ، ص275 – 276. الناووس : جمع نواويس : مقبرة النصارى : حجر منقور تجعل فيها جثة الميت ، (المنجد في اللغة مادة نوس)

4. المصدر نفسه ، ص250.

5. المصدر نفسه ، ص499.

6. المصدر نفسه ، ص416.

ويرى الدكتور احسان ان قوله ((ومالي اجيد المديح) كانه يعيد قول العجاج الراجز : ((هل رايت بانيا لا يحسن ان يهدم)) ولكنه ربط قول المديح دون الهجاء بفلسفة اخلاقية<sup>2</sup>. ولا ريب في ذلك فقد نشأ في عائلة فيها وتر قوي من التدين فضلا عن ان اباه اشتهر بالبر و الاحسان والعفة كما مر سابقا. لقد مدح ابن حمديس الكثير وقصائده في المدح طويلة ولاسيما في المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ولكن صقلية واهلها كانت تجد طريقها في ثنايا مدحه. في المغرب مدح تميما امير المهديّة وتفجع على دخول الروم صقلية وبلغت قصيدته (62) بيتا ومطلعها :

تدرعت صبري جنة للنواب  
فإن لم تسالم يا زمان محارب<sup>3</sup>  
(تدرعت صبري سترا للنواب ، أي سرا للمصائب)

وهي قصيدة طويلة من صفحة 28 الى 33.

وفي مدائحه لا يختلف كثيرا عن شعراء هذا الغرض اذ ينسب الصفات الجميلة والفريدة الى ممدوحه وخاصة اذا كان ملكا فهو اهل الكرم والشجاعة ، ومصدر الجمال والفطنة ، وهو حامي الاسلام وهو مقدم للاسد.

هو الذي ازال الرمد عن ابصارهم بمحياء وهو مؤيد من الله الذي قرّب له ما بعد ، وهو ليس طارئا على الملك وانما هو قد ورث الملك أبا عن حد ، وممدوحه الاوحد في كل شيء وهو العادل تقتدي الأملاك في العدل به ، وهو يقتدي بهذا العدل بأبيه وجده.

ففي احدى قصائده في مدح المعتمد يقول:

|                             |                                   |
|-----------------------------|-----------------------------------|
| ملك إن بدأ الحمد بــــه     | ختم الفخر به ما يبتدى             |
| معرق في الملك موصولا به     | شرف المجد ومحض السؤدد             |
| من غدا في كل فضل أوحدا      | ذلك الاوحد في العــــدد           |
| من حمى الاسلام من طاغية     | كان منه في المقيم المقعد          |
| وكست اسيافه عاريــــة       | ذل اهل السبت اهل الاحد            |
| ذو يد حمراء من قتلهم        | وهي عند الله بيضاء اليد           |
| تقتدى الاملاك في العدل به   | وهو فيه بأبيه يقتدي               |
| كيف لا يملى على الناس العلى | مستمد من على المعتضد              |
| عارض ينهل بالبوصل اذا       | كان للعارض كف الجلمد              |
| وهصور يفرس القرن اذا        | جرد المرهف فوق الاجرد             |
| فنداه البحر والبحر متى      | تعصف الريح عليه يزبد <sup>4</sup> |

ان المبالغة واضحة في الابيات وقد كان تشبيه الممدوح بالبحر حين يهب عليه الريح فهيج وترتطم امواجه فيظهر الزبد والممدوح عندما يتطلب منه العون يهيج في كرمه حتى يغرق سائله بكرمه، وفي قصيدة اخرى يقول:

|                            |                                            |
|----------------------------|--------------------------------------------|
| جلا محياك عن ابصارنا الرمد | وقرب الله من مرآك ما بعدا                  |
| وجاء يحمل منك الطرف اربعة  | البدر والطود والدأماء والأسدا <sup>5</sup> |

فهو جميل ومنير كالبدر وثابت كالطود (الجبل) وكريم كالدأماء (البحر) وقوة وشجاعة كالأسد.

1. ديوان ابن حمديس ، ص94.

2. ينظر المصدر نفسه ، ص20.

3. المصدر نفسه ، ص28.

4. المصدر نفسه ، ص140. معرق الملك : عريق الجذور . اهل السبت : اليهود. اهل الاحد : النصاري. القرن : السيد الشجاع. المرهف: السيف  
الاجرد الفرس قصير الشعر. الندى : الكرم (المنجد في اللغة مادة اقرن ، جرد)

5. المصدر نفسه ، ص170.

3. الرثاء: إذا كان الممدوح هو ذكر محاسن الممدوح وهو على قيد الحياة فالرثاء هو ذكر محاسن الميت ومناقبه والتفجع عليه. ويمكن ان نحصل على رثاء المدن في شعر ابن حمديس حين بكى صقلية وسرقوسة وسفاقس كما مر سابقا.

لقد رثى من مات من اهله كوالده وابن اخته وجاريته جوهرة التي غرقت فضلا عن رثاء بعض الامراء.

ان طبيعة الغرض دفعته الى التأكد على ان الموت امر حتمي فما على الانسان الا ان يخلد ذكره بالعمل الصالح ويؤمن بوجود الآخرة كما دفعته طبيعة الغرض الى الشكوى من الزمان ، انه يتفجر ألما وربما وجد في الرثاء رثاء لغيبته ومعاناته. وهذا ما تجسد في رثاء ابيه وقد ورد عليه كتاب والده من صقلية يحضه على البر ويتشوقه:

|                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| يد الدهر جارحة آسيه     | ودنياك مفنية فانيه     |
| وربك وارث اربابها       | ومحيي عظامهم الباليه   |
| رأيت الحمام يبدي الانام | ولدغته مالها راقيه     |
| وأرواحنا ثمرات له       | يمد اليها يدا جانيه    |
| وكل امرئ قد رأى سمعه    | ذهابا من الامم الماضيه |
| وعارية في الفتى روحه    | ولا بد من ردة العاريه  |
| سقى الله قبرابي رحمه    | فسقياه رائحة غاديه     |

ومنها:

|                   |                      |
|-------------------|----------------------|
| ورحت الى غربة مرة | وراح الى غربة ساجيه  |
| وقد اودعتني آراؤه | نجوماً طوالعها هاديه |

سمعت مقالة شيخي النصيح وارضي عن أرضه نائيه<sup>1</sup>  
من التعابير الجميلة انه شبه الموت بالافعى اذا لدغت شخصا لا تنفعه التعويذة (راقيه) كما انه جاء بتعبير جديد حين قال (رأى سمعه) فالرؤية للبصر ولكنه نقلها الى السمع.  
وفي رثائه للامراء كان يبالغ الى درجة انه كاد لا يصدق نزول الموت بالامير ويتعجب متسائلا كيف يمكن للقبر ان يحتوي البدر او الجبل.

قال في رثاء الشريف الفهري علي بن احمد الصقلي :

|                                   |                                          |
|-----------------------------------|------------------------------------------|
| اذا البدر يطوي في ربوع البلا لحدا | ام الطود حطوا في ثرى القبر اذ هذا        |
| حملنا على التكبذب تصديق نعيه      | وسدت له الاسماع وانصرفت صدا <sup>2</sup> |

4. الوصف : ويعبر هذا الغرض عن اهم الاغراض التي اشتهر بها ابن حمديس فمعظم الدراسات قد عرفت في هذا الغرض واهتمت بتسميته شاعر الوصف كما اهتمت باندلسيته فهي شرع الى القول انه من شعراء الاندلس. وابدع في وصف الطبيعة بل تغلغل وصف الطبيعة في قصائده التي نظمها في اغراض اخرى مثل المدح والغزل.

((لقد كان لنشأة ابن حمديس في جزيرة صقلية ذات الطبيعة الوارفة الظلال اثر في ظهور فن الوصف في شعره وعنايته به))<sup>3</sup> ثم جاءت الطبيعة الاندلسية الخلافة لترهف حسه بها واكثر شعر الوصف مقطعات وقصائد قصيرة.

والوصف موضوع كبير في ديوانه<sup>4</sup> بل ((ينساب في جملة اغراضه فيصف الطبيعة في الغزل ويصور محاسن الحبيبة على مثال محاسن الطبيعة ويصفها في المدح بل اكثر شعره المدحي مصبوغ بصبغته الطبيعية ويصورها قوية في الحماسة والفخر وحزينة باكية في الرثاء))<sup>5</sup>

1. ديوان ابن حمديس ، ص 522 – 523.

2. المصدر نفسه ، ص 163.

3. في الادب الاندلسي ، ص 100.

4. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص 19.

5. في الادب الاندلسي ، ص 104.

على سبيل المثال :

فكان حدة طرفه وفــــواده  
ألقى على الأرض العريضة ارضه  
وجرى ففات البرق سقا وأنهى  
فلشبه دهمته بدهمة ليلــــه  
ويرش سيفي بالنجيع مصارعا  
ومهند مثل الخليج تصــــفقت  
وكانما في مائه وسعيــــره  
فنحن نرى الارض ، البرق ، الليل ، الاسد ، النمل ، الخليج ، النسيم ..... من مظاهر الطبيعة في  
غرض غير الوصف وانما الغزل.

وفي مطلع مدحه للامير يحيى بن تميم بن المعز يقول :

شهاب في دجي الليل ثقب  
أم سراج ناره ماء العنب<sup>2</sup>  
في بيت واحد نجده يذكر الشهاب والليل وسراج ونار وماء العنب ويفتح قصيدته في رثاء ابن اخت له:  
خطب يهز شواهد الاطواد  
صدع الزمان به حصاه فؤادي<sup>3</sup>  
ويرى الدكتور سيد نوفل ((ان وصف الطبيعة عند ابن حمديس وثيق الصلة بوصف الخمرة ..... وما  
علينا الا ان نقرأ ديوانه لنراه يشرب عند طلوع الفجر في روضة فواحة الزهر مخضلة ويشرب قبل ان  
ترتشف ريق الغوادي في ثغور الاقحاح ، ويشرب على اياماض برق كأنه مصباح شب في سواد الليل))<sup>4</sup>  
ففي قصيدة يفتتحها بقوله :  
طرقت الليل ممدود الجناح  
مرحبا بالشمس من غير صباح

يقول :

علل النفس بريحان وراح  
وادر حمراء يسري لطفــــا  
لا يغرنك منها خجــــل  
واغلبها بالماء تعلم منهمــــا  
واذا الخمر حماها صرفهــــا  
خلني افن شبابي مرحــــا  
انما ينعم في الدنيا فتــــى  
فاسقتني عن اذن سلطان الهوى  
فالقنضيب اهتز والبدر بدا  
والثريا رجح الجو بهــــا  
ارضع الغيم لبانا بأنــــه  
كل غصن تعتري اعطافــــه

وأطلع ساقها واعصر اللواح  
شكرها من شمشها في كل صاح  
انها تبديه في خد وقــــاح  
ان بين الماء والنار اصطلاح  
ترك المزج حماها مستبــــاح  
لا يرد المهر عن طبع المــــراح  
يدفع الجد اليها في المــــزاح  
ليس يشفي الروح الاكأس راح  
والكثيب ارتج والعنبر فــــاح  
كابن ماء ضم للوكر جنــــاح  
فشربت فيه قامات المــــلاح  
رغدة النشوان من كأس اصطباح<sup>5</sup>

((وهكذا فقد اوجز الشاعر في هذه الخمرية جمال الطبيعة المتنوع ونلاحظ ان الشاعر يقبل على  
الطبيعة بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها .... والى جانب هذا الوصف تتجلى فيه

1. ديوان ابن حمديس ، ص11

2. المصدر نفسه ، ص45

3. المصدر نفسه ، ص119. الاطواد : جمع طود : وهو الجبل .

4. شعر الطبيعة في الادب العربي ، د. سيد نوفل ، ص270 - 271.

5. ديوان ابن حمديس ، ص82 - 84.

الطبيعة حية مشخصة تبدو عناية الشاعر بتصوير الطبيعة اللامعة على مثال ابن المعتز بالشكل وتجميله<sup>1</sup> كقوله :

اشرب على بركة نيلوفر      محمرة النوار خضراء  
كأنما ازهارها اخرجت      السنة النار من الماء<sup>2</sup>

ويمكن تقسيم غرض الوصف عنده الى :

1. وصف الطبيعة من انهار وغدران وسواق واشجار وازهار كالنيلوفر والشقائق والفواكه كالنارنج والسحاب والبرق والرعد والبحر :

نشر الجو على الارض برد      أي در لنحور لو جمـد  
لؤلؤ اصدافه السحب التي      انجز البارق منها ما وعد  
ذوبته من سماء ادمع      فوق ارض تتلقاه بخـد  
فجرت منه سيول حولنا      كثعابين عجال تطرد<sup>3</sup>

وهي قصيدة طويلة ترى فيها الطبيعة في صور متحركة كما تلمح التشبيه الرائع في البيت الاخير فالثعابين عندما تمشي تتلوى فكيف بها اذا كانت مستعجلة فهذه السيول المانية حوله تتفرع وتجري بسواق ملتوية كالثعبان.

2. وصف الحرب وآلاتها من سيوف ودروع وسفن قال يصف سيفاً :  
ومهند عجن الحديد لقينه      في الطبع نيران ملئن رياحا  
روح اذا اخرجته من جسمه      دخل الجسم فخرج الارواحا<sup>4</sup>

3. وصف الحيوانات والحشرات كالاسد والناقة والزرافة والعقرب والبق والبعوض والذباب.  
قال يصف عقرباً في قصيدة طويلة اذكر منها :

ومشرعة بالموت للطعن صعه      فلا قرن إن نادته يوما يجيبها  
مداخلة في بعضها خلق بعضها      كجوشن عظم ثلمته حروبها  
تذيق خفي السم من وخز ابرة      اذا لسبت ماذا يلاقي لسيبها<sup>5</sup>

4. وصف مناظر الصيد ومجالس الشرب والخمر فقد قال في الصيد.

لما رأيت الصبح قد تبـدى  
كانه في الشرق سيل مـدّ  
اركبت نفسي شوذقا مـعدا  
يهد أركان الطيور هـدا  
بمخلب تبصره مسـودا  
وفتية يكسبون المـجد  
ويلبسون من حديد سـردا  
صادوا وصادوا ما يجوز العدا

1. في الادب الاندلسي ، ص103.

2. ديوان ابن حمديس ، ص5.

3. المصدر نفسه ، ص117.

4. المصدر نفسه ، ص94.

5. المصدر نفسه ، ص42.

فمن فتى يفدح منه زندا  
وحاطب طلحا له ورنندا  
ومشتو يوسع نارا وقندا<sup>1</sup>

##### 5. وصف الادوات الحضارية كالقلم والشمعة

قال في شمع :

|                         |                                    |
|-------------------------|------------------------------------|
| قناة من الشمع مركوزة    | لها حربة طبعت من لهب               |
| تحرق بالنار احشائها     | فتدمع مقلتها بالذهب                |
| تمشى لنا نورها في الدجي | كما يتمشى الرضى في الغضب           |
| عجبت لأكلة جسمها        | بروح تشاركها في العطب <sup>2</sup> |

وللامانة اقول اني افدت من مقدمة الدكتور احسان عباس في تقسيم الوصف على هذا النحو وهذا ما دفعني الى البحث في ديوانه عن نماذج اذكرها امثلة فقط.

وفي موضوع الثلجيات (القصائد التي تصف نزول الثلج والبرد) يتفرع موضوع البرد....  
(وحصيلة الشعر الاندلسي منه قليلة ولعل اشهر من عرض للبرد هو الشاعر عبد الجبار بن حمديس الصقلي الذي أنشأ قصيدة تناهز العشرين بيتا خص البرد منها ببضعة ابيات)<sup>3</sup>، وقد مرت الابيات في وصف الطبيعة.

((وابن حمديس احد اولئك الشعراء الذين جمعوا بين وصف الطبيعة الطبيعية والطبيعة الصناعية كالقصور والتماثيل والرسوم))<sup>4</sup> وقد وصف قصرا ابتناه المنصور بن أعلى الناس ببجايه وعلى البركة اشجار من الذهب والفضة واسود من المرمر يخرج من افواهها الماء كما يخرج من اطراف تلك الاشجار فيسمع لها خرير وصفير .

قال :

|                           |                                        |
|---------------------------|----------------------------------------|
| وضرا غم سكنت عرين رئاسه   | تركت خرير الماء فيها زئيرا             |
| فكأنما غشى النضار جسومها  | واذاب في افواهها البلورا               |
| أسد كأن سكونها متحرك      | في النفس لوجدت هناك مثيرا              |
| وتذكرت فتكانها فكأنما     | اقعت على ادبارها لتثورا                |
| وتخالها والشمس تجلو لونها | نارا والسنها اللواحس نورا <sup>5</sup> |

ويعتقد الدكتور مصطفى الشكعة ان ((شعر الطبيعة كان مهربا للشعراء وهم في اقصى حالات التفجع والتوجع وقد التفت شعراء الاندلس الى هذا المنطق فسجلوا كثيرا من قصائدهم ومقطوعاتهم التي مزجوا فيها الحسرة والألم بذكر الطبيعة الجميلة وما حوت من جمال وجلال واشراق وتبسم فربما ظنوا ان في اشرافها مخرجا لمصائبهم وفي بسمتها برءا لمواجعهم))<sup>6</sup>

##### 5. الغزل :

ترك ابن حمديس مقطوعات وقصائد في الغزل ويغلب على غزله وصف محاسن الحبيبة من عيون وخدود وشعر كما نجد اجزاء الطبيعة منتشرة في تشبيهاته وهو يشكو، كما ان الشاعر العذري يتلذذ بتلك الشكوى من العذال والوشاة وظلم الحبيب فيبدي استعدادا للتضحية بالروح من اجل ارضاء الحبيب :

1. ديوان ابن حمديس ، ص127 - 128.

2. المصدر نفسه ، ص24.

3. الادب الاندلسي ، ص334.

4. في الادب الاندلسي ، ص104.

5. ديوان ابن حمديس ، ص547.

6. الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، ص353.

أذبت فؤادي يا فديتك بالعتب  
وقاتلي بين الغواني كأنها  
حياة ولكن طرفها ذومنيّة  
شكوت اليها لوعة الحب فانتنت  
فقليل : عذاب لو احطت بعلمه  
وقال الهوى اذ لم تذوقيه ضره  
وفي اخرى يقول

فارقتكم وفراكم صعب  
قتل البعاد فما اشير به  
امقيمة والركب مرتحل  
كم ذا يزور البحر بحرأسى  
ما كان نأتي عن ذراك قلبي  
اني لأرجو السلم من زمن  
والدهر ان يسعد فربتما

ولو بت صبا ما عنفت على صب  
مصورة بالعين في حبة القلب  
اما يتوقى الموت من طرف العضب  
تقول لتربيتها وما لوعة الحب؟  
لجدت على الصادي بماء اللمى العذب  
وهل تحدث الخمر الحمار بلا شرب<sup>1</sup>

لا الجسم يحمله ولا القلب  
حتى تمزق بيننا القرب  
بالصبر عنك ترحل الركب  
في العين منك جمانه رطب  
فيموت بعد حياته الحب  
قامت على ساق له حرب  
صلح الجموح وذلل الصعب<sup>2</sup>

وفي بعض الاحيان كان يفتتح بعض القصائد بالغزل الطلي لأنه نشأ عربي الاصل في موطن اعجمي يحارب العروبة وقد صاحب في المغرب عربا جابوا القفار مما أدى الى ازدياد تعلقه بالعرب وبيئتهم وما يتصل بهم من الوان التفكير والاساليب .... وبالع في الوقوف على الاطلاق<sup>3</sup> ، ((وغزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))<sup>4</sup>

6. الفخر : لم يفتخر ابن حمديس بقبيلته الازدية وانما افتخر ببلده ووصف اهل صقلية بالبحار في الكرم وبالاوسود في الشجاعة :

نحن بنو الثغر الذين ثغورهم  
وإذا عبست حرب لهم تتسم  
ومنها :

لنا عجز الجيش اللهم وصدرة  
يضاعف ان عد الفوارس عدنا  
قال في العرب الذين صحبهم في الفلاة بالمغرب :

رعى ورق البيض الذي زهره دم  
جبابرة في الروع تعدو جيادهم  
ترحل من أجامها الاسد خيفة  
وافتخر باهل بلده سرقوسة فقال :

ارى بلدي قد سامه الروم ذلة  
وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه  
عدمت اسود منهم عريبة  
فلم ترى عيني مثلهم في كتيبة  
ومنها

ومن عجب ان الشياطين صيرت  
وأضحت لهم سرقوسة دار منعة  
مشوا في بلاد اهلها نحت ارضها

وكان بقومي عزة متقاعسا  
فأضحى لذاك الخوف منهم لابسا  
ترى بين ايديها العلوج فرانسا  
مضارب ابطال الحروب مداعسا

بروج النجوم المحرقات مجالسا  
يزورون بالديرين فيها النواوسا  
وما مارسوا منهم ابيا ممارسا

1. ديوان ابن حمديس ، ص18.

2. المصدر نفسه ، ص8.

3. ينظر في الادب الاندلسي ، ص101.

4. ديوان ابن حمديس ، ص19.

5. المصدر نفسه ، ص413 - 414.

6. المصدر نفسه ، ص412.



وافتخر بعائلته كما ذكرت في الرثاء فهم قد توارثوا الاخلاق الفاضلة والعلم أبا عن جد وافتخر بعفة لسانه كما مر ذلك في غرض المدح حين قالوا انه لا يحسن الهجاء.

7. الزهديات : زهد وزهد وزهد - زهدا في الشيء وعنه رغب عنه وتركه ومنه ((زهد في الدنيا))<sup>2</sup> أي تخلى عنها للعبادة بمعنى انه يتخلى عن ملذاتها ويقتنع بالقليل ولا يتهالك على الدنيا ، وانما يتزود بالعمل الصالح للآخرة ويكثر من العبادة ... لقد مر بنا كيف نصحه والده ان يمضي على خطى آبائه وعلى خطى عائلته التي بها وترقوي من التدين لذا لا نستغرب ان نجد هذا الغرض في قصائد ومقطوعات لابن حمديس فهو يدعو الى الاعتاض بالموت الذي لا مفر منه وان هذه الدنيا فانية تعقبها دنيا خالدة فعلى الانسان الا تغره الدنيا ويسوق البراهين على صحة هذه الافكار فيسأل أين الشباب؟ وهل يمكن للانسان ان يسترده؟ لذا يرجو الله ان يدرأ عنه العقاب. قال ابن حمديس في معنى الزهد:

|                          |                                   |
|--------------------------|-----------------------------------|
| وعظمت بلمتك الشائبه      | وفقد شببيتك الذاهبه               |
| وسبعين عاما ترى شمسها    | بعينك طالعة غاربها                |
| فويحك هل عبرت ساعة       | ونفسك عن زلة ناصبه                |
| وغرتك دنياك اذ فوضت      | اليك امانيتها الكاذبه             |
| اصاحبة خلقتها؟ انها      | باحداثها بنست صاحبه               |
| اما سلبت منك برء الشباب؟ | فهل يستبرد من السالبه             |
| وان دقائق ساعاتها        | لعمرك اكلة شاربها                 |
| وان المنية من نحوها      | عليك بأظفارها واثبها <sup>3</sup> |

وهو يعترف بأن ذنوبه اثقلت ظهره فكلما تاب ساعة عاد في ساعة اخرى لارتكاب الذنوب ويعقد رابطة جميلة بين ما يأكل وبين العمر الذي يأكله ويتضرع الى الله طالبا الرحمة مما جناه لسانه :  
يا ذنوبي ثقلت والله ظهري  
كلما تبت ساعة عدت اخرى  
ومنها

|                       |                                   |
|-----------------------|-----------------------------------|
| وانا حيث سرت اكل رزقي | غير ان الزمان ياكل عمري           |
| واجرني مما جناه لساني | وتناجت به وساوس فكري <sup>4</sup> |

## 8. الحكميات :

((هو شعر مصوغ في شكل نصائح خلقية ووصايا))<sup>5</sup>

|                                |                                          |
|--------------------------------|------------------------------------------|
| مثل قوله في كتمان السر :       | مهذبا آخذا بالحزم يسترها                 |
| ان السرائر عورات وان لها       | عن اللسان الذي للسمع ينشرها <sup>6</sup> |
| فاطوا السرائر في الجنين تحجنها |                                          |
| وقال في القصد والتدبير :       |                                          |
| لا تخرج الشيء عن شيء يوافقه    | واقصد بأمرك في التدبير مقصده             |
| فالد من فيه لنبت الارض مصلحة   | ولو خلطت به الكافور افسده <sup>7</sup>   |

1. المصدر نفسه ، ص 275 - 276.

2. المنجد في اللغة - مادة زهد

3. ديوان ابن حمديس ، ص 40 - 41.

4. المصدر نفسه ، ص 265 - 266.

5. ديوان ابن حمديس ، ص 19.

6. المصدر نفسه ، ص 263.

7. المصدر نفسه ، ص 167.

وقال في الصحة والمرض:  
إذا ما الهواء اعتل كان اعتلالنا  
وربّما كان الغذاء مضرة  
محيطا بما يجريه فينا التنفس  
يذم به العقبي جهول وكيس

وامراضنا اسبابهن كثيرة  
ويلاحظ على شعره في الزهد والحكميات بسيط العبارة واضحا فهو يقترب من اسلوب ابي العتاهية او  
ما يسمى بالسهل الممتنع<sup>2</sup>

### المبحث الثالث

#### خصائص شعره

لقد مر الشعر في الاندلس بأطوار ثلاثة :-

الطور الاول : طور المحاكاة للشعر في المشرق ((اذ كانت الفكرة الاساسية عند من يريد ان يكتب شعرا ان يكون على نمط الشعر من القدماء او العباسيين ... فالشاعر لم يحاول ان يخضع الشعر العربي لشخصيته بل رأيناه هو يخضع له ، فهو يخضع لموضوعاته المعروفة في المشرق كما يخضع لأفكاره ومعانيه واخيلته واساليبه))<sup>3</sup>.

الطور الثاني : هو الحقبة التي امتدت خلال القرن الخامس وفيها اخذ الشعراء يصدر عن حاضرهم ويمثلون بينتهم ومظاهرها مع الاخذ يحظ من التقليد ويمثل شعراء ملوك الطوائف الذين يرجعون طرافة البيئة الى معاني الشعراء السابقين وفي نهاية هذا القرن تم انتصار الجديد واتسعت حركة الموشحات.

أما الطور الثالث : فيضم شعراء القرن السادس وما بعده وفيه اخذ الشعراء يمثلون البيئة وتجمع لهم الحداثة والجدة ويمثل هذا الطور من الشعراء ، ابن حمديس ، ابن عبدون ، ابن خفاجة ، ابن سهل ، ولسان الدين الخطيب ، وابن زمرك وغيرهم<sup>4</sup>.

اذن يقترب اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة حتى قال عنه ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ما نقله عنه ابن خلكان ((هو شاعر ما هو يقرطس اغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرف في التشبيه المصيب ويغوص في بحر الكلم على درر المعنى الغريب))<sup>5</sup> والمعنى ابن حمديس كان يكتب في صحيفة شعره.

((وهو من الشعراء النابهين في دور الطوائف))<sup>6</sup> بل ((لم تنجب مثله صقلية في الشعر ولم يقصر عن اجود ما وصلته الاندلس باستثناء فن التوشيح وربما لم ينشأ من شعراء المغرب من يضاهيه قوة وتنوعا فهو يمثل ثمرة الشاعرية المغربية في ازهى عصور السيادة السياسية في المغرب))<sup>7</sup>.

ومن يقرأ ديوان ابن حمديس يستطيع ان يستخرج مجموعة من الخصائص الفنية امتاز بها شعره وهي :

1. ان شعره ((مرآة صافية تجلت فيها اخلاقه فهو عفيف اللسان نبيل الفكرة))<sup>8</sup>  
وقد مر بنا انه لم يمارس غرض الهجاء وقد افتخر بذلك :

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| يقولون لي لا تجيد الهجاء | فقلت ومالي اجد المديح   |
| فقالوا لانتك ترجو الثواب | وهذا القياس لعمرى صحيح  |
| عفاف اللسان مقال الجميل  | وفسق اللسان مقال القبيح |

1. ديوان ابن حمديس ، ص273.  
2. ينظر تاريخ الادب العربي - حنا الفاخوري ، ص841.  
3. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ص417.  
4. ينظر في الادب الاندلسي ، ص101.  
5. وفيات الاعيان ، 212/3. قرطس الرجل : اصاب القرطاس بكسر القاف وضمها ، (المنجد : مادة قرطس).  
6. في الادب الاندلسي ، ص100.  
7. ديوان ابن حمديس ، ص17.  
8. تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ، ص336.

2. ان بيئة صقلية الوارفة الظلال والكثيرة الانهار و بيئة الاندلس الخلابة جعلت حسه مرهفا ورقيقا فلذا ((ترق قصائده حتى تشبه الطبيعة الصقلية والاندلسية الجميلة في رقتها وعذوبتها))<sup>2</sup> ان عنايته بهذه الطبيعة وافتتانه بها وقدرته البارعة على تصويرها دفعت الكثير من الباحثين الى دراسته شاعرا من شعراء الطبيعة اكثر من اهتمامهم باغراضه الاخرى التي يشكل بعضها خصوصية ابن حمديس وتفوقه على الشعراء الاخرين مثل معاشته لفكرة الوطن والحنين القوي اليه والحلم بالعودة. وكان وصف الطبيعة عنده يصدر عن طبع لا تكلف فيه ولا صناعة فهو ((يقبل عليها بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها فيبدوا عالم الطبيعة في حركة وزينة وطرب))<sup>3</sup> واعرض هنا بعض النماذج واحاول تحليلها مبينا قدرات هذا الشاعر الكبير قال في إحداها :

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| طرقت والليل ممدود الجناح | مرحبا بالشمس من غير صباح    |
| سلم الايماء عنها خجلا    | او ما كان لها النطق مباح    |
| غادة تحمل في أجفانها     | سقما فيه منيات الصباح       |
| الثم الدر حصي ينبع لي    | بزلال ناقعا فيه التيه       |
| واروي علل الشوق بما      | لم يكن في قدرة الماء القراح |
| همت بالعيد فلو كنت الصبا | لم يكن مني عنهن بـراح       |

ومنها

|                        |                                        |
|------------------------|----------------------------------------|
| ارضع الغيم لبانه بانـه | فتربت فيه قامات المـلاح                |
| كل غصن تعتري اعطافه    | رعدة النشوان من كأس اصطباح             |
| وكان الروض رشت زهره    | بمياه الورد افواه الريـاح <sup>4</sup> |

ان القارئ يشعر برقعة الموسيقى في هذه الابيات ويرى صورا متحركة ويدرك قدرة الشاعر على استعمال الاستعارات الجميلة فالفعل طرقت : يدل على حركة فهو بمعنى جاءت زائرة في الليل وهذه الزائرة (الخمرة) منيرة كالشمس وقد مد الليل جناحيه فقد شبه الليل بالطائر ولكنه حذف المشبه به وابقى كلمة الجناح تدل عليه فالاستعارة مكنية وكذلك فعل بتشبيه الزائرة بالشمس. والإيماء يعني الإشارة والإشارة تحتاج الى حركة وهذه الزائرة خجولة لا تستطيع الكلام فتستعين بالإشارة وكل هذا يوجده الشاعر في خياله الواسع .

والفعل (الثم) يوحي لك بصورة انسان يقبل شيئا.

والغيد هن الحسان فلو كان هو الصبا زمن الشباب والحادثة لما فارق الغيد أي لجعل الغيد دائمة الشباب هكذا يولد المعاني ، والمرأة هي التي ترضع اولادها وقد شبه الغيم بالمرأة بعد ان ترك ما يدل على ذلك عن طريق الفعل (ارضع) والغيم ارضع الاشجار فلذا نشأت قامات الملاح. والقارئ يجد الحركة في كل جزء من أجزاء الشجر وكأنها قد شربت الخمرة صباحا فبدأ كل جزء نشوانا.

والرياح رشت في الروض وزهرة بمياه الورد ان الرسام يستطيع ان يرسم لوحة رائعة من هذه الصورة. وقوله :

|                     |                                |
|---------------------|--------------------------------|
| ذوبته من سماء أدمع  | فوق ارض تتلقاه بخد             |
| فجرت منه سيول حولنا | كتعابين عجال تطرد <sup>5</sup> |

1. ديوان ابن حمديس ، ص94.

2. ديوان ابن حمديس ، ص17.

3. في الادب الاندلسي ، ص103.

4. ديوان ابن حمديس ، ص82 – 85 (التباح) : شدة الظمأ

5. المصدر نفسه ، ص117.

الثعابين عندما تسير تتلوى فكيف يكون تلويها اذا كانت مستعجلة بالتأكد سيكون تلويها سريعا وقويا ، وقد شبه جريان السيول في مختلف الاتجاهات كتلوي الثعابين المستعجلة انها صورة متحركة وتشبيهه دقيق يكشف عمق خياله.

وقوله

يكاد وليد الذر يجرح جسمها اذا صافحت منها أنامله الإتب<sup>1</sup>  
انها مبالغة واضحة فلو لمس وليد الذر (النمل المولود توا) جسمها لجرح ذلك الجسم لرقته  
3. ويلاحظ القارئ لديوانه مسحة الحزن والتشاؤم على قسم من شعره ولا سيما في جنينه الى وطنه  
وهو يتذكر ما حل به ويبقى غريبا يشكوا الغربة فالقلب والعقل والعيون مشدودة الى هناك :  
عادل دعني اطلق العبرة التي عدمت لها من اجمل الصبر حابسا  
فانمي امرؤ آوي الى الشجن الذي وجدت له في حبه القلب ناخسا  
لقدت ارضي ان تعود لقومها فساعت ظنوني ثم اصبحت يائسا  
وعزيت فيها النفس لما رأيتها تكابد داء قاتل السم ناخسا<sup>2</sup>

4. ان اعتزازه بأصله العربي جعله يقتل الاقدمين في افتتاح بعض قصائده بوصف الاطلال ووصف الناقة وذكر الصحراء وما يتعلق بها وهو ((يحتذي معاني القدماء والمحدثين فهو يتحدث عن الاطلال حديثا مؤثرا ثم يتبع مذهب ابي نواس في السخرية منها والهتاف بالخير في ظل الطبيعة الوارفة وينطبق هذا على اوصافه للخيل والابل والغيث والبرق والبيداء والصيد))<sup>3</sup>، فهو يقول:

ولقد سريت بفتية قطعوا الفلا بغزائم مثل الصوارم سلّت<sup>4</sup>  
وقال في وصف فرس ادهم كان يفضل ركوبه :  
ومنغمس في صبغة الليل يمتطي الى اجل الآساد قيد الأبواب  
يكر فكم جسم على الارض ساقط صريع وكم روح الى الجو صاعد<sup>5</sup>  
وفي إحدى مدائحه لابي الحسن علي بن يحيى يفتتح مديحه بالغزل فيقول :  
صادتك مهاة لم تصد فلو حظها بشرك الاسد  
من توحى السحر بناظرة لا تنفث منه في العقد<sup>6</sup>

5. حين تعرضنا لبينة الشاعر عرفنا ان وترا من التدين قد تحكم في حياته فلذا نراه يحث اهل قومه على محاربة الغزاة من (اهل السبت) ومن (اهل الاحد) اليهود والنصارى كما سماهم وان مثل هذا العمل جهاد في سبيل الله أي ان الروح الجهادية تظهر بارزة في قسم من شعره.

ففي قصيدة يمدح فيها الحسن بن علي بن يحيى يذكر انهزام عدو صقلية عام الديماس فيقول :  
ابي الله الا ان يكون لك النصر وان يهدم الايمان ما شاده الكفر  
وان يرجع العلاج بعد علاجها خزايا على اثارها الذل والقهر  
ليهنك فتح اولغ السيف فيهم ولاح بوجه الدين من ذكره بشر  
بسعد كساك الله منه مهابة واشراق نور منه تقتبس الزهر<sup>7</sup>  
وفي اخرى يقول :

وكيف وقد سيمت هوانا وصيرت مساجدها ايدي النصارى كنائسا

1. ديوان ابن حمديس ، ص50.

2. المصدر نفسه ، ص274. الاتبا : الاتب : قميص بلا كمين تلبسه المرأة.

3. في الادب الاندلسي ، ص101

4. ديوان ابن حمديس ، ص70.

5. المصدر نفسه ، ص137.

6. المصدر نفسه ، ص158.

7. المصدر نفسه ، ص252.

إذا شاعت الرهبان بالضرب انطفت مع الصبح والامساء فيها النواقسا

انه يتحسر اذ يرى المساجد تتحول الى كنائس ويحل الرهبان محل ائمة وعلماء المسلمين :  
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة وكان بقومي عزة متقاعسا

وكانت بلاد الكفر تلبس خوفاه فأضحى لذاك الخوف منهنّ لابسا<sup>1</sup>  
وقد مر بنا كيف خاطب اهله ليدافعوا عن الاسلام :  
بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي اذا لم اصل بالعرب منكم على العجم  
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكم دواة وانتم في الاماني مع الحلم  
فردوا وجوه الخيل نحو كريهة مصرحة في الروم بالثكل واليتم  
وصولوا ببيض في العجاج كأنها بروق يضرب الهام محمره الجسم  
وقرع الحسام الرأس من كل كافر احب الى سمعي من النقر في البم<sup>2</sup>

((والصدق العاطفي كان يتفاوت من غرض لآخر فأعلاها درجة تتجلى في تلك القصائد التي كان يتفجع على وطنه ثم في تلك القصائد الطوال التي يكون الشاعر خاضعا لاتفعال مبهم فهو يخرج فيها عواطف الحب والميل الى الخمر والشكوى من الزمان دون حافز خارجي))<sup>3</sup>  
ومما يمثل تلك القصائد الطوال التي ينفع فيها الشاعر دون حافز خارجي تلك التي تبدأ ب :  
كل يوم مودع او مودع بفراق من الزمان منوع<sup>4</sup>

او قصيدته التي يفتتحها ب :  
مرايعهم للوحش اضحت مرابعا فقف صابرا تسعد على الحزن جازعا  
فمن مبلغ الغادين عنا بأئنا وقفنا وأجرينا بهن المدامع  
معالم اضحت من دماها عواطلا فقل في نفوس قد هجرن المطامع<sup>5</sup>  
((ويقع غزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))<sup>6</sup>  
اما فيما قاله في الزهد والحكمة فهو يقترب من ابي العتاهية بلغته الواضحة واسلوبه المشرق<sup>7</sup>.  
وقد كان معاصروه ومن جاء من بعدهم يعجبون ببعض المعاني المبتكرة والصور في وصفه او بناحية الدقة الجزئية في شعره الوصفي عامة.

اما في نظر الناقد الحديث فيمكن تصنيف شعره حسب الجودة الفنية في الترتيب التالي :  
1. قصائده الصقليات 2. القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الانشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافز خارجي. 3. شعر الوصف 4. الشعر الحكمي والتعليمي<sup>8</sup>  
اما اسلوبه الشعري فيتردد بين البساطة البالغة التي تشبه العفوية في مثل قوله :  
بالله يا سمرات الحي هل هجعت في ظل اغصانك الغزلان عن سهري  
وهل يراجع وكرا فيك مغترب عزت جناحيه أشراك من القدر<sup>9</sup>  
وبين الكلفة الشديدة في تعقب الجناس والمطابقة تتكرر لديه المعاني وبخاصة في المدح .. ويبدو في بعض المساجلات الادبية انه كان سريع البديهة يقترح عليه موضوع فينظم فيه<sup>10</sup>

1. ديوان ابن حمديس ، ص 274 – 275.

2. المصدر نفسه ، ص 416.

3. المصدر نفسه ، ص 18.

4. المصدر نفسه ، ص 304.

5. المصدر نفسه ، ص 312.

6. المصدر نفسه ، ص 19.

7. ينظر تاريخ الادب العربي ، ص 336.

8. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص 17 – 19.

9. المصدر نفسه ، ص 206. سمرات : اشجار.

10. ينظر المصدر نفسه ، ص 21.

## الخاتمة

يرتبط اسم ابن حمديس بالحدثاء والجدة في القرن السادس للهجرة في الأندلس فقد استطاع ان يخضع لشخصيته بعد ان بقي الشاعر الاندلسي زمنا طويلا يحاكي ما قاله الشعراء في المشرق. وابن حمديس يقبل على الطبيعة التي فتن بها فتونا بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها وتبدو الطبيعة حية مشخصة.

وشعره مرآة صافية لحياته في مختلف اطوارها فمن خلال ديوانه نستطيع ان نكتب سيرته واثره في البيئة وتأثره بها. ويمكن ان الخص اهم النتائج التي توصلت اليها على النحو الآتي :

1. تغلب اندلسية ابن حمديس ووصف الطبيعة على شخصية في معظم المصادر التي تتناوله بالدراسة اكثر من الاغراض الاخرى التي تنظم فيها.
2. ان الحنين القوي الى وطنه وتفجعه عليه لما حل به من نكبات صادق ومؤثر فهو لم يشعر يوما بأنه صار من اهل البلد الجديد الذي حل به وانما كان يهتف بأنه غريب.
3. لقد تفوق على الاخرين في وصف الطبيعة هذا الغرض الذي تغلغل في اغراضه الاخرى وقد قدم اوصافا تتجلى فيها روح الابتكار والابداع. ولعله اشهر من عرض لوصف ((البرد))
4. ان قدرته على التصوير فائقة فهو يرسم صورا متحركة حين يصف يستطيع الرسام ان يستلهم لوحات من شعره.
5. تبلغ الجودة الفنية عنده الذروة في قصائده الصقليات.
6. تظهر شخصيته متحركة في الشعر الذي أصبح خاضعا له لأنه عبر عن البيئة التي عاشها حية.
7. استعمل افتتاح بعض القصائد بالغزل الطلي ليعبر عن حبه للعرب وتعلقه بهم.

هذا والله اعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### المصادر والمراجع

1. الادب الاندلسي – موضوعاته وفنونه – الدكتور مصطفى الشكعة – ط4 دار العلم للملايين ، بيروت 1979م.
2. الادب العربي وتاريخه ، محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1356هـ/1937م.
3. امراء الشعر العربي في العصر العباسي – انيس المقدسي ، ط2 المطبعة الاميركانية 1936م.
4. تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة . د. احسان عباس . دار الثقافة الطبعة الثانية بيروت 1977م.
5. تاريخ الادب العربي . احمد حسن الزيات . طبعة نهضة مصر . القاهرة . 1957.
6. تاريخ الادب العربي . حنا الفاخوري . المطبعة البوليسية . القاهرة . د.ت.
7. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . ط1 دار العلم للملايين . بيروت . 1992م
8. دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وآخرون مصر ، 1933م.
9. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، 1978م.
10. شعر الطبيعة في الادب العربي د.سيد نوفل ، القاهرة ، 1945م.
11. ظهر الاسلام د.احمد امين ، ط5 دار الكتاب العربي ، بيروت 1969م.
12. فجر الاندلس ، د. حسن مؤنس ، ط1 الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، 1959م.
13. الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ، ط6 دار المعارف ، 1965م.
14. في الادب الاندلسي د. جودة الركابي ، دار المعارف ، مصر ، 1980م.
15. محمد بن عمار الاندلسي ، د.صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد 1957م.
16. المنجد في اللغة ، ط1 ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ايران ، 2001م.
17. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقرئ التلمساني ، دار صادر ، بيروت 1388هـ / 1968م.
18. وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، دار الثقافة ن طبعة بيروت ، 1970.